جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

قراءة لغوية نقدية في مقدمة كتاب " سرّ صناعة الإعراب " لابن جنّي في ضوء علم اللغة الحديث

إعداد

د / علي بن عبدالله بن عبد الرحمن الراجحي
أستاذ اللغويات المشارك في كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية جامعة القصيم

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الأول ٠٠٠ أبريل)
(الجزء الثالث (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

علي بن عبدالله بن عبد الرحمن الراجحي
قسم اللغويات، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: *albay albayin1970@gmail.com*

الملخـص:

يهدف هذا البحث إلى دفع التوهم الذي قد ينشأ عند بعض قارئي تراث ابن جنى – لاسيما – من بعض المبتدئين أو غير المدركين لدلالات مصطلحات كل عصر من تعارض بين تنظيره وتطبيقاته، ولما يتمتع به ابن جني من شهرة ذاع صيتها في الآفاق، فكان لزامًا علينا تعريف الدراسين بما في أصولنا و تراثنا من الظواهر الصوتية المبنية على التحليل والمنهج العلمي بما ينافس ما عليه الدرس الحديث أو يتفوق عليه، والتمييز بين ما هو من خصائص العربية، وما هو من خصائص غيرها من اللغات الأخرى التي لا يمكن أن تشتركا أو تلتقيا فيه، مع قراءة كتب التراث قراءة تجديدية من غير أن ينال من أصولها و قواعدها التي بنيت عليها، والعمل على تدريب الطلاب والدارسين على القراءة النقدية ذات الصبغة التجديدية التي تخدم التراث ولا تضر به . وقد توصلت إلى عدد من النتائج، من أهمها : قدرة ابن جني الفائقة على دقة وصف الأصوات في مخارجها وصفاتها، نتجت عن رهافة في الاستشعار والسمع رغم عدم امتلاكهم لمعامل أو أجهزة صوتية، وهذه البراعة قد أدهشت المنصفين من علماء الدرس الحديث، لاسيمًا الغربين .

كلمات مفتاحية: : قراءة لغوية نقدية، سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، علم اللغة الحديث.

A critical linguistic reading in the introduction to the book 'The Secret of Making Syntax' by Ibn Jinni in the light of modern linguistics

Ali bin Abdullah bin Abdul Rahman Al-Rajhi

Associate Professor of Linguistics at the College of Arabic Language and Social Studies, Qassim University

Email: AliElraghe@yahoo.com

Abstract

This research aims to refute the delusion that may arise among some of the readers of Ibn Jana's legacy - especially - from some beginners or those who are unaware of the connotations of the terminology of each era due to the contradiction between his theorizing and its applications. Familiarizing students with what is in our origins and our heritage of phonetic phenomena based on analysis and the scientific method in a way that competes with what the modern lesson has or surpasses it, and distinguishes between what is one of the characteristics of Arabic, and what is one of the characteristics of other languages that cannot share or meet in it. Along with reading heritage books, a regenerative reading without undermining their principles and rules on which they were built, and working to train students and learners on critical reading of a regenerative character that serves the heritage and does not harm it. It reached a number of results, the most important of which are: Ibn Jinni's superior ability to accurately describe the sounds in their outputs and characteristics, resulted from his sensitivity in sensing and hearing, despite their lack of laboratories or audio equipment.

Keywords: *Critical Linguistic Reading, The Secret Of Making Syntax, Ibn Jinni, Modern Linguistics*

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله وحده ، والصلاة و السلام على من لا نبي بعده ، وآله وصحبه ،

وبعد؛ فقد طبقت شهرة ابن جنّي الآفاق، وشغلت مؤلفاته العقول ، حيث لم تعرف العربية في نظري مثله لا قبله ولا بعده ، فهو الألمعي اللوذعي ، تمكن من قراءة كتب أسلافه من جهابذة اللغة ، و تتلمذ على أيدى نوابغها ، وطاف البلاد بين العراق والشام ، ينهل من فكرها وعلومها ، ثم تصدر التأليف والتدريس ؛ لاسيما بعد وفاة شيخه الفارسي ، تتلمذ عليه جمع غفير من شادني العلم والمعرفة ، وبلغت مؤلفاته في الكمال و النضج و الإبداع ، بل سابقت زمانها ، ورادت عصرها ، شغلت العلماء بين ممل لها ، وشارح وناقد ومعجب ، وحق له ذلك ؛ لما يتميز به من عقلية فذة ، و ذكاء نادر ، واستنباطات دقيقة ، وفهم ثاقب ، بعد تضلع من العلوم و المعارف ، باستيعاب عجيب كل ذلك جعل منه عالمًا نحريرًا ، عرف له من عاصره ومن تلاه هذه المكانة ، و تلك المنزلة من الإمامة " فما أحد أعلم منه به يعنى علم التصريف ولا أقوم بأصوله و فروعه ، و لا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه " معجم الأدباء ١٢ : ٩١

وقالوا عنه : وصنف في ذلك كتابًا أبر بها على المتقدمين ، وأعجز المتأخرين ... معجم الأدباء ١٢ : ٨١

" وليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات ماله "معجم الأدباء ١٢ : ٥٨ وهو " الامام الأوحد البارع " البلغة : ١٣٧ .

وفي رأيي أن مثل هذه الأقوال عنه هي أقل مما يستحقه ، ولا يمكن أن تزن قدره، ولا أن تسبر منزلته التي لا يعرفها إلا من لازم مؤلفاته ، و صحبها دهر، و قد كانت لي صحبة معه خلال مؤلفاته على مدى أكثر من ثلاثين سنة ، عرفت شيئًا من هذا القدر وتلك المنزلة التي بزَّ بها أقرانه ، ومن عجيب هذه الصحبة أنك تزداد تعلقًا به، وبمؤلفاته لميزات ليس هذا مقام بسطها، وقد ظهرت آثار ابن جنى وتأثيره ليس فقط

على معاصريه ، أو على من تلاه في العصور القديمة، بل تجلى ذلك في العصر الحديث لدى العرب وغير العرب، لاسيما في الدراسات اللغوية الحديثة خاصة في الظواهر الصوتية التي تناول جزءًا منها في كتابه " سر صناعة الإعراب " و قَعَّدَ لها بأسس ذلك العلم في مقدمة هذا الكتاب التي نحن بصدد دراستها و قراءتها قراءةً لغوية تراثية ومعاصرة ، تجمع بين فهم القدماء واستنباطاتهم ، ونهل المحدثين والمعاصرين على اختلاف لغاتهم ومعارفهم وحضاراتهم من تلك القواعد والأصول التي وضعها ابن جنى أو ألمح إليها في تلك المقدمة ، ومدى تأثيرها على بنية علم الأصوات الحديث ، و قوانينه ، وذلك بتجديد قراءتها حسب القوانين اللغوية الحديثة وجعلها نموذجا يحتذي في تأصيل العلوم ، وردّها إلى جذورها العميقة الضاربة في عمق الحضارة العربية و الإسلامية ، و لهذا جاءت فكرة هذا المشروع .

إشكالية البحث

قد يتوهم بعض قارئي تراث ابن جنى – لاسيما – من بعض المبتدئين أو غير المدركين لدلالات مصطلحات كل عصر من تعارض بين تنظيره و تطبيقاته ، و ذلك عندما تطبق نظريات الدرس الحديث على أسلوبه دون مراعاة فوراق الدلالات بين العصور .

وقد جربت ذلك مع الطلاب في مراحل الدراسات العليا ، حيث الشكوى من صعوبة فهم أساليب القدماء إذا ما قورنت بالمصطلحات الحديثة .

وقد يكون من أسباب ذلك عدم تدربهم في المراحل السابقة على قراءة كتب التراث، أو مصاحبتها كما هو الشأن لدى العلماء و المختصين ، إضافة إلى أن جل النظريات الحديثة منقولة ومترجمة من دراسات لأنظمة لغوية قد تختلف عن قوانين العربية وأصولها المتجذرة التي لا يجوز المساس بها أو نسفها كما هو حال اللغات الأخرى ، لما تتميز به العربية عن سائر اللغات في قدمها و بقاء أصولها ، وخلودها، فهي تجدد ، ولكنها لا تنقرض ، وتنمو ولكنّها لا تموت ، وتزداد ولكنها لا تنقص ، ولهذا فإن بعض الدراسين والقارئين لتراثنا يجدون صعوبة عند محاولتهم تطويع

القضـايا العربيـة وأصـولها للقـانون الحـديث، إذا مـا وجـدت الفـروق بـين الأسـاليب و المصـطلحات ، وعجـزوا عـن فهمهـا ، أو الـربط بينهمـا لقلـة البضـاعة ، و انعـدام الدربة ، ولقيام هذه الإشكالية جاء هذا البحث ليوجد شيئًا من حلولها .

تسـاؤلات البحث

استنادًا إلى المشكلة التي قام من أجلها البحث ، فانَّ هناك أسئلة تتطلب من هذه الدراسة الإجابة عنها، ومنها :

- ما المنهج العلمي الذي سلكه القدماء ، و يسلكه المحدثون في دراساتهم لمثل هذه القضايا .
- هل يمكننا الاستغناء بالتراث اللغوي الصوتي في دراسة العربية و يكتفي به عن الدرس الحديث ، سواء في أصول العربية و فصيحها ، أو في ما يستجد عليها من وسائل نموها .
- واذا كان جواب ما مضى بنعم ؛ فما العلاقة بين الدرسين القديم و الحديث إذن ؟ ومـا قيمـة النظريـات الحديثـة المترجمـة فـي تطبيقهـا علـى العربيـة أو تدريسـها لطلابنا؟
- ومـا مـدى تـأثير نظريـات علمائنـا كـابن جنـى فـي الجانـب الصـوتي علـى الـدرس الغربي الحديث و فكره و نظرياتها ؟
- و كيف يمكننا تفسير ما ظاهره التناقض في تناول ابن جنى في بعض القضايا الصوتية إذا تناولها في أكثر من موضع ، أو حين ينظَّر لها ثم يجري تطبيقًا عليها ؟

أهـداف البحث

- تأصـيل مـا يمكـن مـن الدارسـات والنظريـات اللغويـة (الصـوتية) الحديثـة و ربطها بالتراث .
- قراءة كتب التراث قراءة تجديدية من غير أن ينال من أصولها و قواعدها التي بنيت عليها

- تعريف الدراسين بما في أصولنا وتراثنا من الظواهر الصوتية المبنية على التحليل والمنهج العلمي بما ينافس ما عليه الدرس الحديث أو يتفوق عليه .
- التمييز بين ما هو من خصائص العربية ، وما هو من خصائص غيرها من اللغات الأخرى التي لا يمكن أن تشتركا أو تلتقيا فيه .
- تدريب الطلاب و الدارسين على القراءة النقدية ذات الصبغة التجديدية التي تخدم التراث ولا تضر به .
- بيان تأثير دراستنا التراثية بنظرياتها وقوانينها علي الدرس اللغوي الحديث ونظرياته .

الدارسات الصوتية السابقة ذات الصلة بالموضوع و المؤلف

١. الصوتيات عند ابن جنى لقاسم الرفاعي – بحث منشور في مجلة التراث العربي ١٩٨٣م في العددين الثاني والخامس (وفيه عرض لمسائل الأصوات لدى ابن جنى دون تحديد كتاب، اعتمد على الاستقراء و الجمع هدف الدراسة مختلف عن هدف دراستنا فهدفه الجمع لمسائل الأصوات التي يتناولها بن جنى في كتبه وهدف هذه الدراسة هو قراءة ما لدى ابن جنى في مقدمة سر الصناعة فقط قراءة لغوية تحليلية نقدية توظف أدوات البحث مصطلحات ومناهجه القديمة والحديثة.

٢. الصوتيات عند ابن جنى في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة لعبد الفتاح المصري منشور في مجلة التراث العربي العدد ٥ ، ٢ سنة ١٩٨٣م ، وعنايته – غالبًا – في المصطلحات و تعريفها دون أن يتعمق في حقائق تلك المصطلحات أو الفروقات بينها من حيث التأصيل و التجديد وما سبق به القدماء و ما يتناسب من النظريات الحديثة مع التراث ، وما لم يتناسب ، كل ذلك لم يكن في صميم تلك الدراسة وهي من أساسيات أسباب قيام هذا البحث وكأن جهده انصب على جمع ما لدى القدماء ممثلًا بابن جنى، وما لدى المحدثين والمقارنة بينهما في الموضوعات دون العناية بقراءتها قراءة نقدية تقويمية .

٣. ابن جنى وجهوده في دراسة الأصوات في ضوء علم اللغة الحديث لـ د. مصطفى محمد عويضة .

٤. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي د . حسام النعيمي

وغيرها من الدراسات المشابهة التي لكل واحد منها أهداف تتظافر مع الأهداف الأخرى ، وتكمل بعضها بعضًا في ميادين شتى من التأمل والتحليل و النقد .

ودراستنا – هنا – في الطريق نفسه تأخذ جانبًا من التحليل تكمل به الجوانب الأخرى يلتقى معها في الهدف، ويفترق في المنهج و النتائج .

منهـج البحث

سيقوم على المنهج التحليلي المعتمد على الوصف و النقد والمقارنة من خلال بعض الظواهر الصوتية في مقدمة كتاب " سر صناعة الإعراب " ، فيقرؤها بدلالتها المعجمية التراثية المستعملة في تلك العصور، ثم يقربها إلى الدلالة المعاصرة ذات المصطلحات الحديثة؛ ليقارنها بما انتهت إليه الدراسات الحديثة في منهج تأصيلي تجديدي .

وبناء عليه فقد اقتضت هذه الدراسة أن تقسم إلى :

- مقدمة ، تمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة
- مقدمة ، تناولنا فيها ١ – مشكلة البحث ٢ – أسئلته ٣ – أهدافه ٤ – منهجه .
- تمهيد: و فيه الكتابة بإيجاز عن :

أ . ابن جنى و أهم أعماله اللغوية .

ب . كتاب سر صناعة الإعراب و قيمته في بابه .

و إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول ـ الصوامت

- عددها " أصولها ، وفروعها ، وفصيحها ، وغير فصيحها .
- مخارجها .

- صفاتها .

الفصل الثاني ـ الصوائت

- عددها .
- مخارجها ، ومواضعها .
- صفتها .

الفصل الثالث ـ الظواهر الصوتية بين الدرس القديم و الدرس الحديث

أ . الصوامت .

ب . الصوائت .

- الخاتمة : و فيها نتائج القراءة .

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد :

أ . ابن جنى و أهم أعماله اللغوية : [1]

اسمه و نسبه :

عثمان بن جني (أبو الفتح الموصلي) ، ونسبه للموصل التي ولد فيها وهي من حواضر بلاد الرافدين (العراق)

ولد في القرن الرابع الهجري على اختلاف بين المؤرخين في سنة الولادة ، هل هي قبل الثلاثين أو بعدها أو قبل الثلاثمائة، وإن كانت الرواية الأقرب أنها في العقد الثالث بعد الثلاثمائة تزيد قليلًا أو تنقص قليلًا .

وشهرته بابن جنّي إنما هي لاسم أبيه الذي هو من أصل رومي ربما كانت الجيم كافا (كنّي) و تعني الفاضل أو الكريم أو العبقري ... و ذلك في أصلها اليوناني .

و أما نسبه للأزد فإنها نسبة بالولاء، يؤيّد ذلك قوله :

فإن أُصبِح بلا نسَبٍ فعِلمِي في الورَى نَسَبِي

على أنّي أؤولُ إلى قرومٍ سادةٍ نُجُبِ

قياصِرة إذا نطَقُوا أرمَّ الدهرُ ذو الخطبِ

أولاَكَ دعا النبيُّ لهم كفَى شرفًا دعاءُ نَبِي

[1] **ينظر في ترجمته :** إنباه الرواة ٢ : ٣٣٦ ، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ص: ٢٠٠ ، معجم الأدباء ٥ : ١٨ ، و فيات الاعيان ٣ : ٢٤٦ تاريخ العلماء النحويين من البصريين و الكوفيين ص: ٤٤١ ابن جنى النحوي ص : ١١

نشأته و تعليمه :

ترعرع في الموصل حيث ولادته ، ودرس فيها وبرزت عبقريته مبكرة ، و أحسَّ من نفسه نبوغًا و ذكاءً ؛ فاستعجل التصدر للتعليم فمر به الفارسيّ وهو يتناول مسألة عويصة فاعترضه على ما كان فيها من خطأ و بيَّن له الصواب ، ثم قال له : تزبّبت و أنت حِصْرَم (أي صرت زبيبًا وأنت بعد لم تصبح عنبًا) ، إشارة إلى أنه استعجل النضوج و التمام ، قبل أن يمر بمراحله ، فأعجب ابن جنى بهذا الشيخ ، فترك التصدر للتعليم ، ولازم الفارسيّ و تعلم على يده مدّة تربو على أربعين سنة ، فيضعن و يرتحل مع شيخه بين الموصل و بغداد وواسط و حلب و غيرها إلى أن توفي أبو علي الفارسي ، فتصدر ابن جنى للتعليم فطبّقت شهرته الآفاق ، وفاق الأقران حتى آلت محاريب اللغة إليه زهاء أربعين سنة إلى أن توفي رحمة الله عليه سنة ٣٩٢ هـ .

منزلته العلمية

ممَّا تميز به ابن جنى أنه لم يكن مقتصرا على تعليمه على شيخه أبي على الفارسي ، بل كان ينتقل بن حلقات العلم و العلماء بشتى العلوم و الفنون ، ظهر ذلك جليا في تنوع دراساته ، ومؤلفاته ، حيث أَلَّفَ في اللغة، والقراءات، والنحو، والصوت، والصرف، والعروض، والأصول، والشعر، والأدب، والنقد وغيرها .

وكذلك في ذكائه و قدراته الاستنباطية ، وتحليلاته اللغوية ، وبيان علل العربية و ابتكاراته الصرفية في كل ذلك ونحو تميّز ابن جنى على أتلاده و وبزهم في كثير من الاحتجاجات ، فاستخرج المدرسة الاشتقاقية الذوقية التي لم يسبق من غيره إليها ، فكان بحق الجدير بوصف الإمامة اللغوية التجديدية التي رادت عصرها ، واستشرقت مستقبلها .

ومن قدر الله أن كانت حياة ابن جني في القرن الرابع الهجري، حيث كان هذا العصر هو العصر الذهبي للعلم والتعليم ، إذ امتزجت فيه الثقافات، وراجت فيه الترجمات ، وكانت عناية الخلفاء فيه منصبَّة على جمع التآليف ، وحث العلماء على

ذلك، بل ربما تجاوز هذا العصر إلى أبواب المنطق و الفلسفة من الثقافات و الفنون تفتق معها النبوغ و الاستلهام ، ففتح لابن جني بسببها مالم يفتح لغيره في مثل ما يعرف بمناسبة الألفاظ لمعانيها وتأصيل الاشتقاق و تفريعه؛ همَّا كان له الأثر على من جاء بعده من العلماء ، خاصة في بناء المعجم اللغوي ، والتجديد فيه ، كما هو الشأن لدى ابن سيده ، والخفاجي ، وابن الأثير ، وربما حتى ابن فارس . المعاصر له في معجمية : المجمل ، والمقاييس.

وممَّا يبرهن على هذه المنزلة العلمية الرفيعة له ثناء العلماء عليه إشادتهم به . وبعلومه ، ومؤلفاته ، يقول ابن الانباري عنه : " كان من حُذَّاق أهل الأدب ، وأعلمهم بعلم النحو والتصريف، ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف ، فإنه لم يصنف أحد في التصريف ، ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاماً منه " [١]

ويقول الباخرزي في ثنايا ثنائه على شرح ابن جنى لديوان المتنبي : " ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ماله ، فقد وقع عليها من تراث الإعراب ، ولا سيّما في علم الإعراب . ومن تأمل مصنفاته وقع على بعض صفاته ، فوربِّي إنه كشف الغطاء عن شعر المتنبي وما كنت أعلم به أنه ينظم القريض " [٢]

ولهذا أشاد به المتنبي بقوله " هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس "

" ويعتبر أبو الفتح بن جني . بعد الخليل بن أحمد . ثاني عبقري نظر إلى اللغة العربية نظرة شاملة " [٣]

---

[١] نزهة الألباء ص : ٢٤٤

[٢] دمية القصر ١٤٨١/٣

[٣] نزهة الألباء ص. ب إنباء الرواة ٢: ٣٣٦ ، معجم الأدباء ٤: ١٥٨٩

شيوخه وتلاميذه :

لعلّ أبا عليّ الفارس (٣٧٧هـ) هو ألصق العلماء الذين أخذ عنهم أبو الفتح العلم، فقد كان كثير الأخذ عنه لا يفتأ يذكره ، ويحيل كثيرًا من الاستنباطات ، والتخريجات إليه ، وتشيد كتب التراجم أن أبا الفتح لازم أبا علي في حِلِّهِ وترحاله أكثر من أربعين سنة . [١]

ومن شيوخه كذلك أبو بكر بن محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم (٣٥٤ هـ) وهو أحد القراء .

وكذلك أبو الفرج الأصبهاني (٣٥٦ هـ) وأيضًا أحمد بن محمد الموصلي المعروف بأبي الأخفش الموصلي [٢] وغيرهم .

وأما أشهر تلامذته :

الشريف الرضي (٤٠٦ هـ) والشريف المرتضى (٣٤٦ هـ) وكذلك أبو القاسم الثمانيني (٤٤٢ هـ) وغيرهم إلا أنهم ليسوا بكثير ، بسبب كثرة ترحاله ، وتنقله . [٣]

آثاره العلمية :

لابن جنى من المؤلفات ما يربو على ستين مصنفًا، أشاد بها بقوله :

تناقلتها الرواة لها على الأجفان من حدب

فيرتع في أزاهرها ملوك العُجم والعرب [٤]

---

[١] تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ص : ١٩٤

[٢] مقدمة تحقيق شرح التصريف ص ٢٢

[٣] مقدمة محقق اللمع ص : ١٩

[٤] معجم الأدباء ٤ : ١٥٩٣

وقد عكست هذه المؤلفات علم ابن جنّى وثقافته ، فحوت مشارب من الفنون شتى، ذكر منها ياقوت الحموي عدداً لا بأس به [1] ، طُبع بعضها ، ومازال بعضها الآخر غير مطبوع . ومن أهم هذه المؤلفات :

١. التصريف الملوكي .

٢. التمام في تفسير أشعار هذيل ممَّا أهمله أبو سعيد السكّري .

٣. التنبيه على شرح مشكلات الحماسة .

٤. الخصائص .

٥. سرّ صناعة الإعراب .

٦. العروض .

٧. الفسر { ديوان المتنبي بشرح ابن جني }

٨. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات .

٩. اللمع في العربية .

وفاتـه :

توفي ابن جني . رحمه الله ـ سنة ٣٩٢ هـ في بغداد ، حيث دفن بجوار شيخه أبي علي الفارسي وكانت وفاته " يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر .

رثاه الشريف بقصيدة مؤثرة ، من أبياتها :

وللنفس قد طارت شعاعاً من الجوى

لفقد الصفايا وانقطاع العلائق

نجوم من الأخوان يرمى بها الردى

---

[1] معجم الأدباء ٤:١٥٩٧

مغاربها فوت العيون الراومق

لتبك أبا الفتح العيون بدمعها

وألسننا من بعدها بالمناطق [١]

ب : كتاب " سر صناعة الإعراب " وقميته في بابه :

يعدُّ هذا الكتاب من أهم كتب ابن جني ، فهو كتاب " يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم ، وأحوال كل حرف منها ، وكيف مواقعه في كلام العرب[٢] " وذلك في الجانب الصوتي الأول : الصوامت (الحروف) فيه ذكر " أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها ، وانقسام أصنافها ، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ورخوها ، وصحيحها ومعتلّها ، ومطبقها ومنفتحها ، وساكنها ومتحركها ومهتوتها ، ومنحرفها ، ومشربها ، ومستويها ومكرّرها ، ومستعليها ومنخفضها ، إلي غير ذلك من أحكامها وأجناسها .[٣]

إضافة إلى أنه اشتمل على الجانب الثاني من الأصوات ، وهو الصوائت (الحركات) حيث تناول " فرق ما بين الحرف والحركة ، وأين محلّ الحركة من الحرف ، هل هي قبله ، أو معه ، أو بعده ؟ " [٤]

وكذلك ذكر ما يُلحق بهذه الصوامت والصوائت من الفروع المستحسنة والمستقبحة ، وما يتولد من الحركات عن الحركات .

بل فوق ذلك من دقائق هذه الأصوات حين تنطق ساكنة ، أو متحركة ، كيف يكون وضعها ؟ وكذلك ألفاظها مادامت أصواتًا مقطعة ، ثم كيف ألفاظها إذا صارت

---

[١] ديوان الشريف الرضي ٢ : ٦٣

٢ مقدمة سر صناعة الإعراب ١ : ٣

٣ السابق ١ : ٤

٤ السابق ١ : ٤

أسماء معرّبة ، وما الذي يتوالى فيه إعلالان بعد نقله ممّا يبقى بعد ذلك من الصحة على قديم ، حاله ، وما يمكن تركه ومجاورته من هذه الحروف مما لا يمكن ذلك فيه[1]

ليس فقط كل هذا ، بل انتقل فيه إلى إفراد كل حرف من حروف الهجاء بباب يذكر فيه " أحواله وتصرفه في الكلام من أصليته وزيادته و صحته وعلته و قلبه إلى غيره و قلب غيره إليه . [2]

وبعد كل هذا الذي ذكره ابن جنى عن كتابه، والاطلاع على محتوياته، لا إخال أحدًا ينكر أنه قد تسنمّ قمة هرم العلوم و الفنون المتصلة بالدرس اللغوي لاسيما أصوله .

ومن جميل ما حواه هذا الكتاب أنه ختمه بعد أن أتم ما وعد به – بفصول ثلاثة ؛ الأول في تصريف حروف المعجم و اشتقاقها و جمعها، و الثاني في مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض وما يجوز من ذلك وما يمتنع وما يحسن و ما يقبح وما يصح وفي الثالث إفراد الحروف في الأمر ونظمها على المألوف من استعمال حروف المعجم .

فالكتاب صوتي صرفي لما بين هذين العملين من تمازج و تداخل " ذلك أن دراسة التصريف تقوم بالدرجة الأولى علم الصوتيات ، ومن يدرس الظواهر التصريفية ينبغي عليه أن يلجأ إلى ما يقدمه له علم الأصوات لتفسير الظواهر التي جعلها موضوع بحثه [3]

---

١ مقدمة سر صناعة الإعراب ١ : ٥

٢ السابق ١ : ٥

٣ السابق ١ : ٨

بمعنى أوضح وأدق أن الموضوع الرئيس للكتاب هو الدراسة التصريفية لحروف المعجم ، وأن ما عدا ذلك مما اشتمل عليه من مسائل إنما هي خادمة للموضوع الأساسي كالدراسة الصوتية . [١]

وما حواه هذا السفر العظيم من مادة علمية قلّ أن تجد لها نظيراً انبهر لها السابقون ، وأشادوا بها المحدثون ، يقول الدكتور كمال بشر " أما وصف ابن جنى للمخارج بالصورة التي سجلها في كتابه و ترتيبه لهذه المخارج فهو يدل على قوة ملاحظته و ذكائه النادر و الحق أن النتائج التي وصل إليها هذا العالم في هذا التوقيت الذي يعيش فيه لتعد مفخرة له ولمفكري العرب في هذا الموضوع .

ومّما يؤكد براعتهم و نبوغهم في هذا العلم ، أنهم قد توصلوا إلى ما توصلوا إليه من حقائق مدهشة ، دون الاستعانة بأية أجهزة و آلات تعينهم على البحث و الدراسة كما نفعل نحن اليوم " [٢]

بل بلغت قيمة هذا الكتاب أنه عُدّ ثاني اثنين في دراسات الأصوات ، وذلك مع كتاب سيبويه .فهما الأساسان اللذان تنطلق منها قواعد الأصوات وقوانينه والمعين الذي صدر عنه من جاء بعدهما في التصريف والأصوات .

وقد بسط الدكتور حسن هنداوي في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب الحديث عنه و عن قيمته العلمية ومنزلته بين أنداده و أقرانه [٣]

ومن مقتطفات هذا التناول قوله " هذه المادة العلمية التي ضمنها ابن جنى هذا الكتاب بالإضافة إلى مباحث أخرى تجعل الكتاب ذا أهمية خاصة ؛ إذ اشتمل على ما لم يحوه كتاب آخر [٤]

---

١ مقدمة سر صناعة الإعراب ١ : ١٩

٢ علم الاصوات ص ١٥

٣ تنظر مقدمته في تحقيق سر الصناعة ١ : ٢٦ – ٣٣

٤ السابق من ١ : ٢٧

وقوله " و الناظر في كتاب أبي الفتح يرى نفسه أمام رجل يعد طوداً شامخاً في العلم يفسر ظواهر التصريف و اللغة و الأصوات و النحو تفسير المتمكن المتقن الأصيل في كل فن من فنون العربية ويأتي بنظريات لم يستطع المحدثون من علماء اللغات أن يتجاوزها إلا في جوانب قليلة .

ويقول " ولا أكون مبالغا إذا قلت لئن كان المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس في مجال الشعر، فإن ابن جنى مالئ الدنيا و شاغل الناس في ميدان الدراسات الصوتية و التصريفية واللغوية [١]

وممَّا يميّز هذا الكتاب أنه في عبارته وألفاظه ومعانيه سهل واضح إلا أنه ممتنع ، قلّ أنه يوجد له مثيل عند كثير من دارسي اللغة ، فلا تعقيد ، ولا غموض ، إضافة إلى إشباعه ما يتناوله بالمادة العلمية الرصينة التي لا تكاد تشعر بعدها بحاجة إلى غيرها ، أو إلى مزيد استقصاء من غير إطالة مملّة ولا اقتضاب مخل .

وكذلك ما امتاز به من إحاطة و شمول واستقصاء ، بثقافة موسوعية ناقدة متنوعة المشارب و الفنون و الشواهد ، لا تكاد معها تمل من قراءته بل و الشوق إلى منادمته و صحبته، يوجز ذلك كله ما ذكر في استهلاله مقدمة سفره هذا بقوله " أن أضع كتابًا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها .... وأن أتقصى القول في ذلك و أشبعه وأوكده فاتبعت ما رسمته و انتهيت إلى ما مثّلته ...

و أنا بإذن الله أبلغ من ذلك فوق قدر الكفاية وأجتنب مع ذلك الإسهاب و الإطالة، إلا فيما تضمن نكتًا أو أثار دفينًا " [٢]

---

١ تنظر مقدمته في تحقيق سر الصناعة ١ / ٢٧

٢ سر صناعة الإعراب من ١ : ٣ – ٤

بين يدى الموضوع :

اشتلمت مقدمة كتاب " سر صناعة الإعراب " على مدخل بل مداخل في علم الأصوات بمادة علمية رصينة ، استقى منها العلماء أسس الدرس الصوتي بله الصرفي ، وقد حفلت تلك المادة بالعمق والإثارة ، وصارت مجالًا رحبًا للدراسات والاستنباطات .

وقد استوقفتني قضايا عدة في هذه المقدمة عكست ما كان يتمتع به هذا الإمام من سعة العلم ، وعمق التفكير و دقة الملاحظة بذكاء خارق ، وعبقرية فذة ومنها على سبيل المثال – لا الحصر عدد الصوامت (الحروف) بين الأصول والفروع ، وخلاف العلماء حول ذلك قبولا أو رفضا ، وهذه من كبريات قضايا الأصوات إن لم تكن هي أسّ البناء الصوتي في النظام اللغوي ، والخلاف فيها قديم ، ويتجدد مع ما يطرأ على ظروف الناطقين البيئية و الزمانية ومؤثراتها ، فالحرف (الصوت) ليس جامداً ، بل هو أشبه بالكائن الحي المتطبع بالحال و المقام ، ولعل المتمعّن لعبارات ابن جنّي ، وكذلك من سبقه من الأئمة ، كالخليل بن أحمد وسيبويه في هذا الجانب يستوحي شيئا من المرونة والتسامح في بعض جوانب التغيير ، مادام في مدار الأصل ومركزه ، يتجلى ذلك في ظواهر النطق اللهجية المتنوعة ذات الحلقات المترابطة في العصور الأولى واللاحقة .

صفات الأصوات ـ أيضًا ـ و تطبيقاتها النظرية القديمة و المعملية الحديثة ، ومدى تقارب تلك التطبيقات أو تباعدها وهل ما حدث من خلاف بين القديم و الحديث يعد جوهريًا أم أنه اصطلاحي ، وعليه (فلا مشاحة في الاصطلاح)

و نتيجة أي من الجانبين يترتب عليه صحة أو خطأ تطبيق الدراسات على نظام لغوي واحد في أزمنة أو بيئات متنوعة أو مختلفة ، والخروج من ذلك بنتيجة واحدة قد تصل إلى مقدمات خاطئة ، تنتهي إلى نتائج غير صحيحة ، على نحو ما رأينا من الخلاف بين القدامى يمثلهم ابن جني ، و المحدثين تمثلهم الدراسات المعملية في صفات بعض الحروف و تصنيفها، كما هو في المجهور والمهموس عددًا ونوعًا كالذي حدث مع صوتي (القاف) و(الطاء)، و اختلاف تصنيفها بين القديم والحديث لاختلاف وربما تغير نطقهما .

ومن تلك القضايا التي لا تزال بحاجة إلى تحرير مصطلحاتها ، وتجديد قراءتها، لتحديد مراداتها لدى القدماء ، كي لا تتسع الهوة في فهمها بين القدماء المحدثين المصطلحات المتصلة بالنطق كالصوت و الحرف و المقطع ، والعرض، والمخرج ، ونحوها ممّا قد يظن القارئ لها عند جنى أنها متداخلة أو ملتبسة أو متناقضة ، ومن خلال اطلاعي على من تناول ذلك قديمًا و حديثًا لم أرَ فيها ما يشفى الغليل في تحرير مثل هذه المصطلحات أو تحديد مراداتها ، وأزعم أنني وبصحبتي الطويلة لمؤلفات ابن جني قد تراءت لي بعض أوجه الحقيقة في فَهْمِ شيءٍ من تلك المصطلحات ، وهي محاولة مني كغيري ، قد تصيب و قد تخطئ ولكنها تبقى محاولة في طريق القراءة اللغوية التجديدية .

انظر مثلًا إلى قوله " اعلم أنَّ الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفَسِ ... حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين ومقاطع .. فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده ...[1]

وكذلك حديثة عن الصوائت (الحركات) وعددها وهي من القضايا التي استلفتتني بل أدهشني تناول ابن جني لها، فبعد قراءة متكررة و بمشاركة طلابي في مرحلتي الجامعة ، والعليا ، أزعم أنني استوحيت منها وقد أكون سُبقت إليها أن ابن جني يرى أن عددها لم يكن بالعدد الذي اشتهر قديما وحديثا ، وهو ستة أصوات فقط حتى عدت العربية من أقل اللغات نصيبا من هذه الأصوات ، وإنما عددها من فحوى عبارات ابن جنى يقرب من العشرين كما ستبينه الدراسة في فصلها الثاني بتوفيق الله .

وأيضًا حديثه عن حروف المدّ (ا ، ي ، و) ومراوحتها بين الأصوات الصامتة (الحروف) و الأصوات الصائتة (الحركات)، و فيه أيضًا إيضاح لسبق أن جني لما يزعم أنه من نتائج الدراسات الحديثة .

---

[1] سر صناعة الإعراب ١ : ٦ – ٧

وتناوله تفريع الصوائت من الصوامت، وأيهما الأصل ، وما قيمة كل نوع منهما في ميزان النطق و الصوت الدلالي ، وموضع كل منهما في مدارج الصوت الذي تأسس عليه ما يعرف حديثا بالدرس التشريحي والدرس الفيزيائي .

ويقول ابن جنى :" اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ و اللين فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء و الضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ، وهن في كلا الموضعين يسمّين حروفاً كوامل فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفاً صغارا بأبعد في القياس منه [1]

إلى آخر ما قال مما يحتاج معه إلى مزيد تأمل، وقراءة متكررة ، ذات صبغة تراثية ممزوجة بالفكر اللغوي الحديث من القوانين و النظريات التي تخدم تراث العربية و نموها محافظة على أسسها و أصولها ، ومعايشة لمناهج التجديد عبر المراحل و العصور .

وعليه فإن تناول ابن جنى و قبله سيبويه لما يقبل أو يردّ من الحروف في طريقة نطقها ، وذلك في فرعيها : المستحسن ، وغير المستحسن ، والأسس التي بُني عليها القبول أو الرفض ، لاسيمّا أن هذا التلون ، أو التنوع في النطق لا يخضع لقانون التوقف أو الجمود ، بل هو مستمر يتغير بحسب البيئات والعصور ، فما القانون الذي نستطيع من خلاله ضبط هذا التغير ، وحفظ أصول الفصيح . في قاعدتها النطقية (مخرجًا، وصفةً) في زمن ينادي فيه بالقياس عليه ، كما في المناداة ـ اليوم ـ بضّم بعض الأصوات التي يرد لها عند القدماء استحسان أو عدمه . إلى دائرة الفصيح والقبول ، ممّا قد يشكل ثُلمة في حمى الفصحى ، كالدعوة إلى ضمّ ما يعرف . لديهم . بصوت : ألقيف إلى ما يستحسن من حروف العربية لدى بعض المحدثين[2] ، وهو الصوت الواقع بين القاف والكاف .

---

[1] سر صناعة الإعراب ١ : ١٧ – ١٨

[2] . مثل : المجمع اللغوي الافتراضي (من تويتر من وسائل التواصل الاجتماعي) .
وهذا القرار الحادي عشر في يوم السبت ١٤٣٥/٦/٥ هـ ٥/ إبريل ٢٠١٤ م

←←←

الفصل الأول: الصوامت (الحروف)

١. عددها (أصولها ، فروعها ، فصحيها ، غير فصحيها)

٢. مخارجها .

٣. صفاتها .

أ. عددها :

١. الأصول :

لقد كان اهتمام ابن جنّي ـ في هذا الكتاب ـ منصباً ـ في غالبه ـ على دراسة الأصوات الصامته وتحليلها ، لاسيّما في مبانيها أصلًا ، وتكوينًا، وذلك حال إفرادها ، لا تركيبيها، ومن يقرأ مقدمته يظهر له ذلك جلياً .

ولئن كان ابن جنّي أفاد في ذلك من متقدميه أمثال الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وأبي علي الفارسي ، وغيرهم الذين وضعوا اللبنات الأولى لهذا العلم ، إلا أنه لم يكن متصفاً بالنقل ، أو الرواية عنهم فقط ، وإنما كانت تلك المادة مصدراً ملهماً له ، وسبباً في تفتق عبقريته ونبوغه ، وربمّا بزّه لهم ، وتفوقه عليهم ، ساعده في ذلك انتماؤه إلى المدرسة العقلية التي تميز بها المذهب الاعتزالي الذي قيل إنه يميل إليه ، أو يعتقده وكما هو معلوم فإن الاعتزال" منهج في البحث والتجربة والاستدلال العقلي " [١] حيث يحكمون العقل ويقدمونه ، فما وافقه قبلوه ، وما عارضه ردّوه ، وهذا قد يقبل فيما هو قابل للرأي والاجتهاد ، وأما ما كان فوق مقدوره وطاقته كما في مسائل الاعتقاد و الغيبيات فإنه لا يقبل بحال من الأحوال.

←←←

وهذا المجمع يقوم بالأشراف عليه أ . د . عبدالرازق الصاعدي . أستاذ اللغويات في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية

١ . في أصول النحو ص ٩١ .

ولذا فإن سّر نبوغ ابن جني وعبقريته ، وتفوقه في هذه الجوانب هو انعتاقه من التقاليد ، أو حكاية ما سبق دون تحليل أو نظر ، وتحكيمه للعقل فيما يؤخذ منها أو يُرد ، بعيداً عن ربطها بقداسة أو منزلة قائلها .

لذا ألفيناه يوجّه انتقادات لبعضها وإن كانت صادرة عن علماء أجلاء يحترمهم، ويجلّهم ، ويردّ الفضل إليهم ، لكن ذلك لا يمنعه من عرضها على موازين العلم والعقل .

ففي عدد الحروف العربية وترتيبها وجدناه يخالف أئمة سابقين لهم فضلهم وسبقهم ، كالخليل بن أحمد ، و المبرّد .

فعدد أصولها ـ عنده تسعة عشرون حرفاً ، لا ثمانية وعشرين ـ كما يذهب إليه المبرد (محمد بن يزيد) ، وذلك حين قال :" اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً ... إلا أن أبا العّباس (يعني المبرّد)فإنه كان يعدّها ثمانية وعشرين حرفاً.[1]

وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس غير مرضي منه عندنا .[2]

فلم تمنع إمامة المبرّد ، وإفادة ابن جنّي من عمله من أن يعترض عليه ، وينتقده فيما لم يؤمن به ويعتقده ، ولم يكتف . فقط . بالاعتراض ، أو النقد وإنما جعل يسوق العلل العقلية واللغوية ، ليبرهن على صحة ما يذهب إليه وبطلان ما ذهب إليه المبرّد .

وسبب ضعف قول المبرّد هذا ـ كما يقول ابن جنيّ ـ أنه يسقط الألف من بداية ترتيب الحروف ، وبدأها بالباء ، بحجة أنها همزة لا تثبت على صورة واحدة ليست لها صورة مستقرة ، ولهذا لم يعدّها من الحروف التي أشكالها محفوظة التي لها محفوظة .

وقد ناقشه ابن جنّي بجملة الاستدلالات المنطقية التي قد يوافق على بعضها، ويُخالف على بعضها الأخر ، ومن تلك الاستدلالات أنه عدّ تلك الألف ما هي إلا صورة

---

[1] . ينظر رأي المبرّد . هذا في المقتضب ١: ٣٢٨ ـ ٣٣١

[2] ـ سّر صناعة الإعراب ١: ٤١

الهمزة ، وإن قلبت في بعض أحوالها واوًا ، أو ياءً ، وذلك للتخفيف ، بدليل ـ كما يقول . أنها لو وقعت موقعاً لا بدّ فيه من تحقيقها فإنه يلزم . معه . كتابتها ألفاً على كلّ حال ، مضمومة ،أو مفتوحة ، أو مكسورة ، وهذا العّلة قد تكون مقبولة ومقنعة ، وقد ذهب إلى هذه الحجة ، وسبقه إليها . كما يقول ابن جنّي . دون علمه بذلك إلا بعد أن اتقدحت في ذهنه ، وقال بها ـ ابن السرّاج والفرّاء . [1] ولكن العّلة التي قد لا يُتفَق معه فيها ، هي احتجاجه بأن أول حرف من لفظ اسمه هو الدّال عليه ويُتلّفظ به ، كما في . مثلاً . جيم فأوّل حرف في هذه الكلمة هو الحرف " جيم " : ج ، وإذا قلت " دال فأول حرف الحرف "دال" د ... وهكذا .. ، ثم لما جاء إلى الألف قال وهذا سرّ ضعف العلّة " وكذلك إذا قلت " ألف فأول الحروف التي نطقت بها همزة " [2]

إذ كيف . مع هذا الاستدلال والقياس ـ نستطيع التفريق بين الهمزة ، والألف في اسم الحرف ـ كما يقول ـ من حرفه الأول ؟!!

بل ذهب إلى أبعد من ذلك ـ فيما يظهر منه ما يغاير منطق اسم الحرف الذي علّل به ـ حين قال : " فأمّا الألف المدّة التي في نحو سار وقام وكتاب وحماد . فصورتها . أيضا ـ صورة الهمزة المحققة التي في أحمد وإبراهيم .. إلا أن هذه الألف لا تكون إلا ساكنه ، فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة ،" [3]

وهذا قد يناقض ما قرّره في كون الهمزة عند الألف في تحقيقها وصورتها وموقعها ، حيث جعلها ـ هنا بصورة واحدة ، وإن اختلف مخرجاهما ، وبمثل هذه العلّة الضعيفة التي لا تقوى أن تكون رداً على رأي العباس قد يترجح ما ذهب إليه المبرّد من كونها حرفاً واحداً لا اثنين ؛ فيصبح الراجح من الآراء في عدد الأصول من حروف العربية أنها ثمانية وعشرون وإن كان من عامَة العلماء والجمهور مع رأي التسعة والعشرون ..

---

[1] . سّر صناعة الإعراب ١: ٤١ ـ ٤٢

[2] . السابق ١: ٤٢

٣ . السابق ١: ٤٢. ٤٣

وقياس ابن جنّي الألف الساكنة ، و الألف المتحركة بالنون حال سكونها وحال تحريكها باختلاف مخرجيهما ، حيث تكون الساكنة من الخياشيم ، والمتحركة من الفم ، وكأنهما ـ بهذا ـ صارا حرفين .[1] قياسيه هذا مع الفارق ، لارتباط النون وتغيراتها بالسياق والتراكيب ، وتنوع ما يجاورها على صور شتى وليس صورتين ، وعليه ، فإنه يجب كتابة كل نون على هيئة تختلف عن الهيئة والصورة الأخرى ، وللزم أن تضاف هذه الصور إلى عدد الحروف الأصول وليست الفروع !!

ونص ابن جنّي صريح في هذا القياس العجيب حيث يقول : " كما أن النون الساكنة في نحو " مِنْ " و " عَنْ " والنون المتحركة في نحو " نعم " و " نَفَر " تسمّى كل واحدة منهما نوناً ، وتكتبان شكلاً واحداً (؟!!) ومخرج الساكنة من الخياشيم ، ومخرج المتحركة من الفم كما أن مخرج التي هي همزة من الصدر ، ومخرج المتحركة من الفم كما أن مخرج الألف المتحركة التي هي همزة من الصدر ، ومخرج الألف فوقها من أول الحلق ، فهاتان ههنا كتينك هناك .[2]

ومثل هذا التعليل والاستدلال لن يقف فقط عند قياسه الألف على النون ، بل سينسحب على حروف أخرى تتغير صور نطقها بتغير سياقاتها وتراكيبها ، وعليه فإن الحجّة تترهل وتضعف ، وبمثلها ظهر شيء من الخلط والاضطراب الذي شاب بعض استدلالاته وحججه ، وقد تكون استطراداته وراء ذلك، رغم حذاقته ودقته ولطيف علله فيما يعرضه .

ولو طبَقنا مصطلح الفونيم (phoneme) الذي استعمله الغربيون ، والمحدثون من علماء العربية بحسب نظرية ابن جنّي لكانت الحروف أكثر بكثير ممّا قالت به الدراسات القديمة ، ذلك أن " الحرف يقابل الصوت في كونه هيئة للصوت يتميز بها عن صوت

---

١ . سّر صناعة الإعراب ١: ٤٣

٢ . السابق ١: ٤٣

آخر في المسموع . والحرف شيء مجرّد ، هو مجموعة تختلف عن الأشياء التي تدخل ضمنها ،هو مجموعة من العناصر المحسوسة " [١]

فالحرف بصوته مجموعة من الفونيمات " حيث يري العلماء أن الأصوات اللغوية تتكون من وحدات مستقلة ، ومن الممكن أن ينطق صوت معين منعزلاً غير مجاور لصوت آخر . وهذه الأصوات المختلفة أو الوحدات الصوتية المستقلة .. والتي يعتبر عنها بصوت واحد هي ما يطلق عليه العلماء الغربيون المحدثون مصطلح " الفونيم " أو الوحدة الصوتية المستقلة " [٢]

يقول كمال بشر " هي وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معاني الكلمات .[٣]

وهذا المفهوم للفونيم تمامًا هو ما يفهم من عبارات ابن جنّي في تحديده للصوت اللغوي ، وعليه فإن حصر الحروف ـ لديه ـ بهذا العدد لا يتوافق وهذا التفسير، كما أن التدقيق فيما انتهى إليه المحدثون في هذا الجانب يفيد أنهم لم يتجاوزوا ابن جنّي إلافي التفريعات أو الجزئيات .

٢. . الفروع :

كما صنع متقدمو علماء العربية من تقسيم الحرف . حسب عددها . إلى أصول وفروع ـ أمثال سيبويه ـ فقد تبعهم ابن جنّي في ذلك وقد تناولنا ما ذكره في أصولها ، ونحن الأن نقف عند بعض ما لفت إليه في فروعها المستحسنة ، والمستقبحة . يقول :

" واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرّع عنها ، حتى تكون خمسة وثلاثين حرفًا . وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن ، وفصيح الكلام ،

---

١ . علم الأصوات ، لعبدالرحمن الحاج ص ٢

٢ . البحث الصوتي عند ابن جني ص ٩٢

٣. علم اللغة العام (الأصوات) ٢: ٣١

وهي النون الخفية ، ويقال الخفيّة ، والهمزة المخفَفَة ، وألف الإمالة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي .

وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف هي فروع مستحسنة ، ولا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر ، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة ، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والضاد التي كالثاء ، والباء التي كالميم ، ولا يصح هذه الحروف الأربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين ، حتى كملتها ثلاثة وأربعين ، إلا بالسمع والمشافهة " [١]

وهذا الإجمال في عدّها مطابق لما ذكره سيبويه [٢] إلا أن سيبويه لم يوضح كيفيتها ، أو كنهها أو طريقة نطقها كما فعل ابن جني .

ولاشك أن هذا التأييد والموافقة من ابن جني لسيبويه في زيادة عدد أحرف العربية من الحروف المستحسنة ، وغير المستحسنة ، حتي أصبح عددها ثلاثة وأربعين حرفاً إنما يدلَ دلالة قاطعة على تنبيّة فكرًا صوتيًا فريدًا ينمُّ عن عمق في هذا الفكر لديه ، ولا معنى لهذه الموافقة على تلك . الزيادات لو لم يكن ابن جنّي ذا منهج صوتي متميز ، فهو يعلم أن ليس لهذه الحروف صور في المعجم العربي ، إلا أنها مسموعة بالمشافهة ـ كما يقول . فاللغة لديه أصوات قبل أن تكون رموزاً ، وهي حيَة تنمو وليست جامدة .

فالبحث فيها ينبغي أن يكون في أصواتها ذات البيئات ، و الأزمنة المتنوعة ، وإن تنوعت درجات قبولها ، أو فصاحتها ، وهذا المنهج الذي أسس له ابن جنّى هو ما قامت عليه مناهج الدرس اللغوي الحديث ، لذا يرى بعض الدارسين أنه سبق بهذا

---

١ – سّر صناعة الإعراب ١: ٤٦

٢ – الكتاب ب ٤ : ٤٣٢

الأوربيين في مصطلحه " علم الأصوات " الذي رسم صورة هذا العلم ومنهجه [١]" وهذا ممّا يؤكد على أن اللغة أصوات ، فالحرف عندما يلفظ يثبت بعد ذلك بالخط فالاعتداد بالصوت ، لا بالحرف المكتوب [٢]

فلم يكن المحدثون هم أول من ميّز بين الصوت والحرف ، وإنما سبقهم ابن جنّي إلى ذلك حين قال : " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمَى المقطع أينما عرض له حرفًا " [٣]

قارن هذا القول بأقوال المحدثين ستجد شبه التوافق ، يقول الدكتور تمام حسان في تعريفه للصوت بأنه :" العملية الحركيّة ذات الأثر السمعي ، وهو من أداء المتكلم في نشاطه اللغوي العادي اليومي " [٤]

وأمّا الحرف ، فهو وحدة تصنيفية يقوم بها دراس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الاقلّ من الحروف ، إذ قد يشتمل الحرف .

الوحد على أكثر من صوت واحد ، كحرف الميم في الإظهار والإخفاء والإقلاب ، ويطلق على العملية اسم (الفونيم) فالفونيم في أحد معاينه يقصَدُ به الحرف [٥]

فتلك حقيقة سبق بها ابن جني علم الأصوات الحديث ، بل إنه لم ينقل ما قال سيبويه أو الخليل ـ فقط ـ وإنما استدرك عليهما وعلى من سبقه من علماء العربية الذين جعلوا الصوت والحرف بمعنى واحد والتفريق بينها هو المتوافق وطبيعة اللغة

---

١ . ينظر الدرس الصوتي ومصطلحاته من خلال مدخل " سر صناعة الإعراب (مجلة الأثر) ص ٢٧٩

٢ . السابق ٢٨٠

٣ . سّر صناعة لإعراب ١: ٦

٤ . الصوات العربية بين اللغويين والقراء ص ٥٦

٥ . الأصوات العربية بين اللغوين والقراء ص ٦٥

المبنية على النطق والسمع قبل الرمز والشكل ، في : "الحرف وحدة تجريدية مرسومة تشمل صوتاً أو أكثر ، وقد لا يكون صوتاً حينما لا يُنطق ، وقد يكون صورة مرسومة للصوت ، والصوت هو ما ينتج عن العملية الحركية ذات الأثر السمعي (منطوق) " [١]

ألا ترى . مثلاً – الهمزة واختلاف صور نطقها بين التحقيق ، والتسهيل ، وما بينهما ، فرمزها يشمل أكثر من صوت ، كما أن بعض الحروف في بعض حالاتها تكتب ولا تنطق ، فتكون حرفًا ، لا صوتًا ، فاللغة أصوات قبل أن تكون حرفاً ، فإذا نطق الحرف ثبت بالخط ، فالمعتبر هو الصوت المنطوق ، وليس الحرف المكتوب .

ب : مخارجها :

لقد وافق ابن جنى الخليل بن أحمد في منهجه حين رتب الحروف على مخارجها وفق تصعَدها النطقي من الأسفل إلى الأعلى في أعضاء النطق ، إلا أنه خالفه في تقديم أو تأخير بعضها أو بعض مجموعاتها ، وخالف أيضا . سيبويه في شيء يسير منها ، وذلك لاعتماد هذا الترتيب على الذائقة اللغوية ، وتحسَسها في أعضاء النطق تحسَساً دقيقاً ، وربمَا اختلفت ذائقة عالم عن ذائقة عالم آخر ، يقول في ترتيبها : " الهمزة ، والألف ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، و القاف ، والكاف والجيم ، والشين ، والياء ، والضاد ، واللام ، والراء ، والنون ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والذال والثاء ، والفاء ، والباء ، والميم ، والواو .

فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها ، وهو الصحيح " [٢]

---

١ . دروس في النظام الصوتي للغة العربية ص ٧

٢ . سّر صناعة الإعراب ١: ٤٥

ثم نراه يخطئ ما نسب للخليل في معجمه العين من هذا الترتيب لأنه . كما يقول : " فأمر ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمنا آنفاً ممّا رتبه سيبويه ، وتلاه أصحابه عليه ، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته " [١]

وترتيب الخليل الذي ردّه ابن جني جاء على هذا النحو : العين ، والحاء ،والهاء والخاء ، والغين ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والشين ، والضاد، الصاد ، والسيين ، والزاي ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والظاء والذال ، والذال ، والتاء ، والراء ، واللام ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم ، والواو ، والألف ، والياء ، والهمزة . [٢]

ورغم قول ابن جني عن هذا الترتيب الذي ساقه أنه موافق لما رتبه سيبويه ، وتبعه عليه أصحابه ، إلا أنه بالمقارنة بينهما وجدنا بعض الفروقات ، وإليكم ترتيب سيبويه ، ليتبين الفرق : " الهمزة ، والألف ، والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء ، والكاف ، والقاف ، والضاد ، والجيم ، والشين ، والياء ، اللام ، والراء ، والنون ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد والزاي ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والفاء ، والباء ، والميم ، والواو . [٣]

هذا في سرد سيبويه لها ، لكنها اختلفت . يسيراً . عندما بدأ يفصل في مخارجها ، فجاءت على النحو الآتي : الهمزة ، والهاء ، والألف ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والقاف ، والكاف ، والجيم والشين ، والياء ، والضاد ، واللام ، والنون ، والراء ، والطاء ، والدال ، و الثاء ، والزاي ، والسين ، والصاد ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والفاء ، والباء والميم ، والواو. [٤]

وإذا قارنت بين ترتيب ابن جني الخليل وسيبويه ، وجدت الفرق بيناً

---

١ . سّر صناعة الإعراب ١: ٤٥. ٤٦

٢ . العين ١: ٥٣ ، ٥٦

٣ . الكتاب ب : ٤٣١

٤ . السابق ٤: ٤٣٣

بينه وبين الخليل ، ويسيراً مع سيبويه ، وإن صرّح أنه موافق لسيبويه ، فالعين جاء ت في مقدمة الترتيب لدى الخليل ، إلا أن ابن جني قدم الهمزة والألف والهاء عليها ، وفرّق بين القاف والغين والخاء ، والخليل جعل القاف بعد الغين .

وكذلك ممّا خالف فيه سيبويه تقديمه القاف على الكاف ، وتأخيره الضاد إلى ما بعد الجيم والشين ، والياء ، وسيبويه يقدّمها .

وسرّ ذلك هو ما ذكره ابن جني من أن هذا الترتيب يقوم على مذاق ، الحروف وتصعدها ، وقد رأينا اختلاف هذا التذوق ، والاستشعار ، لدى من عاصر الفصحاء وشافههم ، فكيف بغيرهم ، لذا فإن هذا الاختلاف بينهم من قبيل التحسّس الذاتي المبني على الذائقة اللغوية المتشكلة من ظروف الشخص البيئية والزمانية .

ومن دقّة ملاحظة ابن جني ، وصفاء ذائقته اللغوية في ترتيبها ، جاء ليفصِّل في مخارجها تفصيلاً دقيقاً ، يتصعد فيها كما يتصعد في زُلف السُّلَّم ، من خلال النظر إلى مكان كل صوت من جهاز النطق الذي شبهه بالناي ، فيقسمها إلى ستة عشر مخرجاً ، ابتداءً بأقصاها وأسفلها من الحلق، وانتهاء بأدناها وأعلاها من الشفتين ، تمعَّن هذا التوصيف المدهش لهذه المخارج حين يقول :" واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر ، ثلاثة منها في الحلق : فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة و الألف والهاء .. ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء . ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء . ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف . ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم مخرج الكاف . ومن وسط اللسان ، بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم ، والشين ، والياء ، ومن أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، ممّا فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام .

ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون . ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء .وممّا بين طرف

السان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء . بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين . ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء . ومن باطن الشفه السفلى وأطراف الثنايا العلا مخرج الفاء . ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو .

ومن الخياشيم مخرج النون الخفية ... " [١]

بهذا التوصيف الدقيق لهذه المخارج الذي بهر المحدثين ، فاتفقوا معه في كثير منها ، وحتى ما اختلفوا معه فيها كان في بعض التفصيلات الفرعية التي يمكن أن تتدرج تحت مجمل ما اتفقوا عليه ، ومردّ ذلك والله أعلم ـ معايشة ابن جني للفصحاء ، والاستماع إليهم مشافهة ، إضافة إلى ما امتاز به من ذكاء خارق وعقليه فذّه وسعة الاطلاع وحب لهذه اللغة و العكوف عليها ومما زاد من دهشة المحدثين بهذه النتائج التي توصل لها ابن جنى أنها جاءت نتيجة دراسات نظرية لا معملية . فلم يكن يمتلك أجهزة أو معامل تعينه على الدراسة والتحليل ، كما هو الشأن لدى الدراسات الحديثة ، حتى غدت ـ مثل هذه التفصيلات الدقيقة في المخارج ـ لبنة وقاعدة لما عُرف لدى المحدثين بـ " التشكيل الصوتي " المشتهر بـ : " الفونولوجي " ، أو ما يطلق عليه " دي سوسور " النظام الصوتي [٢]

وهذه الدقة المتناهية في تفصيل مخارج الحروف لدى ابن جنى ـ ومن سبقه من العلماء ، هو الذي يتوافق وطبيعة مذاقات الحروف وتصعدها ، والتحقيق ـ كما يقول ابن الحاجب ـ : " أن كل حرف له مُخرج يخالف الآخر ، وإلا لكان إياه " [٣]

---

١ . سر صناعة الإعراب ١: ٤٧– ٤٨

٢ . ينظر : علم اللغة العام ، دي سوسور ص ٥١ ، وعلم اللغة العام " الأصوات " كمال بشر ص ٩٤ ـ ٩٥

٣. الإيضاح في شرح المفصَّل ٢: ٦٤

وحتى ما ذهبوا إليه من أن مخارجها ستة عشر ، أو سبعة عشر أو أقل ، أو أكثر ، إنما هو على سبيل التجوّز والتقريب ، وضمّ ما تقارب منها إلى ما يقاربها في مخرج واحد ، و إلا فإن التحقيق ، والتحسَس الدقيق يدل على أن لكل صوت منها مخرجاً يخصّه ، ويتميز به عن مقاربة ، وإلا لكان مطابقاً له في كل صفاته .

ومع ذلك فإن القدماء ، وفي مقدّمتهم ابن جني . بإقرار المحدثين ـ قد سبقوا زمانهم حين وصفوا هذه الحروف وصنفوها تصنيفاً دقيقاً ، رغم أنهم اعتمدوا على وسائل نظرية تقليدية (سمعًا ، وبصرًا ، وتحسسًا) ، إذ لم يعرفوا الأجهزة الصوتية وما معاملها . وكذلك هم أوّل من لفت النظر إلى ما يتفرّج من الحروف الأصول، وكونها تمثل صورة صوتية تتوافق وطبيعة النظام اللغوي المتشكل من التنوع اللهجي، الذي تتميز به العربية ، أو من اتّساع دائرتها في قبول ما هو من جنسها أو شبهها في اللغات الأخرى الممتزجة بها ، وإن اختلفت درجات ذلك القبول استحساناً، أو الإبقاء عليه مع التحذير من شيوعه أو انتشاره ، أو ضمّة إلى فصيحها .

وبرغم ما قيل من أن ابن جني قد وافق سيبويه ومن تقدمه في هذا الباب ، إلا أنه أضاف تفصيلا لمخارج فروعها المستحسنة ، لأنه كان يعدّها من النظام اللغوي الفصيح الذي يمثل التنوع اللهجي الذي تتشكل منه اللغة الأمّ .

ج . صفاتها :

عرض ابن جني صفات الحرف بتصنيف مفصل دقيق ، لم يسبق إلى مثله ، وذلك بعد أن انتهى من ذكر مخارجها يقول : " اعلم أن للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات ... فمن ذلك انقسامها إلى الجهر والهمس ..وللحروف انقسام آخر إلى الشدّة والرخاوة وما بينهما ... وللحروف انقسام آخر إلى الإطباق والانفتاح .. وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض ... وللحروف قسمة أخرى إلى الصحة والاعتلال .. وللحروف قسمة أخرى إلى السكون والحركة ... وللحروف قسمة أخرى إلى الأصل والزيادة .. ومن الحروف حرف منحرف .. ، ومنها المكرّر .. واعلم أن في

الحرف حروفاً مشربة .. وهي حروف القلقلة .. ، ومن الحروف المهتوت ... ، ومنها حروف الذَّلاقة ، .. ، ومنها الحروف المصمتة .. " [١]

وليس العجب من هذا التصنيف هذا التفصيل الدقيق ، وإنما من بيان مراداتها ، ودلالات مصطلحاتها ، فحين يُعّرف المجهور بأنه :" حرف أشبع الاعتماد في موضعه . ومنع النفس أن يجري معه " [٢] و المهموس بانه : " حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه " وهو ما يتوافق مع سيبويه .[٣]

نرى إعجاب المحدثين بما انتهى إليه ابن جني وسيبويه من دقة تتوافق و نتائج الدرس التشريحي الصوتي الحديث ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس :

" وهذا هو الانحباس المؤقت الذي نحسَ به في مخرج الحرف لحظة قصيرة جداً ، بسبب التقاء العضوين التقاء محكماً ، فإذا انفرجا فجأة . سمعنا ما يسمى بالصوت الشديد ، وما يسميه الأوربيون بالصوت الانفجاري ... وبهذا يكون أحسَ مع المجهور والمهموس ومع الشديد والرخو ، بما يحسَ بها الدارسون الأصوات من المحدثين ،دون أن يكون علم بالناحية التشريحية من وجود و ترين صوتين بالحنجرة يقومان بوظيفة معّينة مع بعض الأصوات " [٤]

ولمحاولة فهم مراده من مثل هذه المصطلحات يقول الدكتور تمام حسان :

"١ـ يظهر أن الإشباع و الأضعاف كما يبدو أن : الإشباع . التقوية ، والإضعاف : إزالة القوة .

---

[١] . سّر صناعة الإعراب ١: ٦٠. ٦٤

[٢] . السابق ١: ٦٠

[٣] . الكتاب : ٤: ٣٤٣

[٤] . الاصوات اللغوية ص ٤٢

٣. يظهر من إسناد الإشباع والأضعاف إلى الاعتماد ، واتفاق منع جرى الصوت مع إشباع الاعتماد ، وجري النفس مع أضعاف الاعتماد أن الاعتماد : الضغط ... فمنشأ الاعتماد وموضعه هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين .. أو يكون الاعتماد واقعاً من الحجاب الحاجز على المخرج الذي في الفم والخياشيم .

يظهر ممّا تقدم .. أنه لم يكن يعرف وظيفة الأوتار الصوتية في الجهر والهمس ، بل لم يكن يعرف حتى تركيب الحنجرة .. وأنه مع إحساسه بهذا الضغط لم يكن يعرف مصدره .. " [١] وكأن الدكتور تمام حسان يرى عدم التوافق التام بين فهم المتقدمين وفهم المحدثين لمثل هذه الظواهر الصوتية على خلاف ما يراه الدكتور إبراهيم أنيس كما سبق .

وربما كانت حجة من خالف في الموافقة ، وجود بعض الفروقات في تصنيف هذه الحروف على صفاتها ، كما في حرفي القاف والطاء . مثلا . حيث عدّهما القدماء من الحروف المجهورة ، على حين أثبت الدراسات التشريحية الحديثة أنهما مهموسان ، وهذا لا يعني بالضرورة . صحة نتائج الدرس الحديث ، وخطأ أحكام المتقدمين ، فلربما حدث تغيرّ . كما هو حال القانون الصوتي . في نطق هذه الحركة بحسب ملابسات الظروف البيئية ، والزمانية التي تطرأ على الأصوات اللغوية في سائر اللغات ، وعليه ، ربما كانت القاف والطاء قديماً في صفتهما مجهورتين ـ ثم تحولتا إلى مهموستين ، لميل الناطقين إلى الحروف المهموسة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي ـ كما هو الشأن في أصوات أخرى . فأصاب هذين الحرفين ما أصاب غيرهما في الصفات الأخرى ، فتكون نتائج القدامى ، والمحدثين كلها صحيحة ، فإن كل دراسة درست الصوت في محيط ظروفه المكانية والزمانية على ما كانت تمثل واقعة الفعلي في لسان الناطقين ، فالقاف التي وصفها اللغوين العرب كانت مجهورة لديهم لا مهموسة ، أمّا المحدثون فيرونها مهموسة في نطقها الحالي في الفصحى ، وهو النطق الذي نسمعه من قرّاء القرآن

[١] . اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٧

المجيدين . وطريقة الجهر بها نطقها قافاً ثقيلة ما بين القاف والكاف، وكذلك الطاء، فهي عند القدامى مجهورة، أي تنطق كما تنطق الدال وهي اليوم مهموسة [١] وذهب المستشرق برجشتراس إلى أن النطق القديم للطاء ، أي الجهر بها ، قد انمحى ، ولكن المستشرق شاده يذهب إلى أن هذا النطق يسمع بوضوح في بعض جهات اليمن "[٢]

وقديمًا كانت بعض قبائل العرب تعارض بين الأصوات المجهورة و المهموسة بمعنى أنها تبدل الصوت المجهور بالمهموس و العكس كذلك ، إما ولوضوحه في السمع أو لنشدان السهولة في النطق ، كما في قول العرب : " ما حُرم من فُصْدَ له " حيث روي أيضا : ما حُرم من فُزْد له .

ومع ذلك فإن النسبة الغالبة في نطق الأصوات هي للمهجورة ، حيث تبلغ ما نسبته ثلاثة أرباع الأصوات ، لما تتميز به الأصوات المهجورة من صفة الرنين والتنغيم التي تتشكل منها موسيقي اللغة التي تتميز بها اللغات .

وإن كنا نقرّ . بطبيعة عصر المتقدمين وإمكاناتهم . أن ابن جني لم يكن يعلم ما يجرى في الأعضاء النطقية الخفية ، كالحنجرة وما بداخلها من الحبال الصوتية والغضاريف ، ذات الصلة بالصوت ، وتشكيلاته ، وعليه لم تكن بعض مصطلحاته بتلك الدقة التي توصلت إليها الدراسات الحديثة .

وفي رأيي أن وضوح المراد من هذه المصطلحات بدأ مبكراً على يد ابن سينا في عمله التشريحي، وربطه بالأصوات اللغوية في رسالته القيمة: أسباب حدوث الحروف" .

---

١ . ينظر علم اللغة ، للسعران ص ١٧٤

٢ . فقه اللغة العربية ، للزيدي ص ٤٤١ . ٤٤٢ ، وانظر : التطور النحوي ، لبرجشتراس ص ١٦

وما قيل في تعريف الجهر والهمس ومصطلحاتهما ـ لدى ابن جني ـ قد ينسحب على الصفات الأخرى كالشديد وضدّه، والإطباق والانفتاح، وإن كان في هذا الأخير قد وافقته الدراسات الحديثة .

ومن جميل ما عرض له في الصفات حديثه عن الصفات المفردة لبعض الحروف بعد أن ذكر الصفات العامة . كحديثة عن اللام ، ووصفه لها بـ "المنحرف " " لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضها على الصوت ، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما ، وهو اللام " [١]

وقد وافقه المحدثون إلى حدٍّ ما ـ حين قالوا " يخرج من حافة اللسان حين تتصل بما جاورها من الأسنان والأضراس " [٢]

وأيضا . الراء . التي وصفها بالتكرير : " وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير " [٣] وهذا التعريف نفسه ، وإن اختلفت العبارات . هو تعريف المحدثين " فالنطق بالراء يتمثل في عدّة نزات وارتعاشات في طرف اللسان " [٤]

وكذا وصفه الهاء ـ بالمهتوت ـ وهو وصف دقيق ذو دلالة بالغة على ما يصحب نطقها " وذلك لما فيها من الضعف والخفاء " [٥]

وقد أطلق هذا الوصف عند الخليل ـ كما ينص على ذلك الأزهري على حرف الهمزة [٦]

---

[١] – سر صناعة الإعراب ١: ٦٣

[٢] . الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء ص ١٩

[٣] . سر صناعة الإعراب ١: ٦٣

[٤] . دروس في علم أصوات العربية ص ٣٨

[٥] . سر صناعة الإعراب ١: ٦٣١: ٦٤

[٦] . تهذيب اللغة ص ٤١

وأطلق الزمخشري ، وابن يعيش هذا الوصف على حرف " التاء " [١] وذكر كانتينو أنه ربمّا كان هذا من قبيل غلط الناسخ ، وأن الصواب أن نقرأ " هاء " عوض " تاء " .[٢] والحق أن الهمزة لدى ابن جني والقدماء . حين النطق بها محققة قد عدّوها صوتاً مجهوراً [٣] والمحدثون أخرجوها من كلتا الصفتين : الجهر والهمس بناءً على رصدهم حركة الحبال الصوتية داخل الحنجرة أثناء النطق بها ، وهو الأساس الذي عليه بنوا تصنيفهم للأصوات في هذه الصفة ، فالحبلان الصوتيان لا ينفرجان كلياً معها ، فتكون مهموسة ، ولا يقتربان من بعضهما ، فتكون مجهورة ، وإنما يلتصقان حتى لا يُسمح للهواء بالعبور من بينهما .

وهذا في تقديري مع صفة التحقيق للهمزة ، لاختلاف وضع الحبال الصوتية حين النطق بها غير محققة مّما يقرّب احتمال صحة ما ذهب إليه ابن جنّي ومن سار على نهجه من القدماء. ولو وصح هذا التقدير ـ وهو المترجّح لديّ ـ فإننا نكون إزاء براعة فائقة من قبل ابن جنّي قامت على دقة في وصف الأصوات في مخارجها وصفاتها ، نتجت عن رهافة في الاستشعار والسمع رغم عدم امتلاكهم لمعامل أو أجهزة صوتية وهذه البراعة قد أدهشت المنصفين من علماء الدرس الحديث ، لاسيمًا الغربين .[٤] وهذا الراي يتوافق ومطابقة كثير من نتائج تصنيف الأصوات لدى القدماء ما انتهت إليه الدراسات الحديثة دون خلاف معتبر ، أو خلاف يذكر كما في صفات : الشدّة والرخاوة، و الإطباق ، والانفتاح ، والاستعلاء والانخفاض ، والتفخيم والترقيق إلى آخر القائمة.

---

[١] . شرح المفصل ، لابن يعيش ص ٣٩

[٢] . دروس في علم أصوات العربية ص ٣٩

[٣] . ينظر : سر صناعة الإعراب ١:٦٠ ، والكتاب ٤: ٤٣٤

[٤] . ينظر : درس في عالم أصوات العربية ص ٣٥

فهرس المصادر و المراجع

١. ابن جني النحوي ، فاضل السامرائي ، بغداد ، دار النذير ١٩٦٩ م .
٢. أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تحقيق: محمد حسان مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .
٣. إشارة التعيين في تراجم النحاة و اللغويين ، عبد الباقي اليماني، تحقيق: عبد المجيد دياب ، الرياض ، مركز الملك فيصل ط ١ ، ١٩٨٦ م .
٤. الأصوات العربية بين القديم والحديث ، د . محمد السيد عطية بكر ط ١ مكتبة المهدي الزقازيق .
٥. الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو ، المصرية ، القاهرة ط ٣ ، ١٩٩٢ م .
٦. الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء ، عبد الصبور شاهين .
٧. إنباه الرواة على أبناه النحاة ، أبو الحسن القفطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، دمشق ط ١ ، ١٩٨٦ م .
٨. الإيضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب .
٩. البحث الصوتي عند ابن جني في ضوء الدراسات الحديثة ، زبيدة حنون / مجلة اللغة العربية العدد ١٥ .
١٠. تاريخ العلماء النحويين من البصريين و الكوفيين أبو المحاسن التنوخي ، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود ١٩٨١ م
١١. التجويد والأصوات ، د / إبراهيم نجا ، ط السمارة .
١٢. التطور النحوي ، برحشتراسر ، تحقيق: د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٢ م
١٣. جهود العرب في الدراسات الصوتية ، كمال بشر، مجله الثقافة العربية عدد ٤ س ٢ .
١٤. دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ١٤١٧هـ .
١٥. دراسات في علم التجويد والأصوات د. عبد الحميد أبو سكينة مطبعة الأمانة .
١٦. دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح ، بيروت ط ٦ ، ١٩٧٦ م .

١٧. الدرس الصوتي ومصطلحاته من خلال مدخل (سرّ صناعة الإعراب) د. محمد بلقاسم ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، مجله الأثر .
١٨. دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، ترجمة : صالح القرمادي الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والبحوث ١٩٦٦م .
١٩. دروس في النظام الصوتي للغة العربية د. عبد الرحمن الفوزان ١٤٢٨هـ .
٢٠. شرح المفصل لابن يعيش طبعة القاهرة .
٢١. الصوائت في التراث العربي ، أمينه طبيي ، مجلة عود الند عدد ٩٥ س ٨
٢٢. الصوائت في الدرس الصوتي ، مصطفي العادل ، جامعه محمد الأول ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ٢٠١٧ م .
٢٣. الصوتيات النطقية مدخل إلي تحليل المنظومة الكلامية شوقي المغربي مكتبه الطالب وجدة ط ١ ـ ٢٠١٦ م .
٢٤. علم الأصوات ، مالبرج برتيل، ترجمة : عبد الصبور شاهين مكتبة الناشر .
٢٥. علم الأصوات ، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٠م .
٢٦. علم الأصوات عبد الرحمن الحاج صالح الجزائر ١٩٧٢ م
٢٧. علم الصوتيات ، عبدالله ربيع وعبد العزيز علام ، المكتبة التوقيفية ١٩٧٩ م .
٢٨. علم اللغة العام الأصوات كمال بشر ، دار المعارف القاهره ١٩٧٣ م
٢٩. علم اللغة العام دي سوسور .
٣٠. علم اللغة ، محمود السعران ، دار المعارف مصر ١٩٦٢ م .
٣١. العين ، الخليل بن أحمد ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٧ م .
٣٢. فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ، ط ٨ ، دار نهضه مصر .
٣٣. فقه اللغة العربية ياسر الزيدي ١٩٨٧ م .
٣٤. في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، ط ٣ مطبعة جامعة دمشق .
٣٥. في الأصوات اللغوية ، غالب فاضل المطلبي ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، بغداد ١٩٨٤ م .

٣٦. الكتاب سيبويه تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجبل ، بيروت ، ط ١ـ ١٩٩١ م ، وكذلك مطبعة الأميرية بولاق مصر .
٣٧. لسان العرب ابن منظور دار صادر بيروت .
٣٨. اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٩م
٣٩. محاضرات في اللسانيات ، فوزي حسن الشايب ، عالم الكاتب الحديث الأردن ط ٢ ـ ٢٠١٦ م .
٤٠. معجم الأدباء ياقوت الحموي ، عناية ، مرجليوث ، مصر ، مطبعه هندية ط٢ ـ ١٩٢٨ م
٤١. وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس بيروت ، دار الثقافة ١٩٧٧ م .